

ماذا لو تكلمت الجدران عن بعض ما جرى عام 67 ؟

الأخبار : 1976/7/19

بقلم: على منصور المحامى

من لا يعرف مواطن خطته لا ينعم بمواضع صوابه . إذا ورغم أن عبور السادس من أكتوبر أقال جباها نكستها يوما نكبة الخامس من يونيو التى تواضع صناعها وحواريوهم على تسميتها " بالنكسة " . فان حلاوة النصر لا تحجب تدارس مرارة الهزيمة ..

لو تكلمت الجدران .. عنوان موضوع لمشروع كتاب وضعت فيه بعض اللمسات منذ حين ليس بالقصير ، ثم أخذتني عنه على رغمي شواغل الحياة حتى عدت إليه متصفحاً فتوقفت عندما رصدت من خلال المحاكمة التى جرت لقادة الطيران أثر نكبة 1967 ، وقابلت بين بعض هذا الذى رصدت وبين ما نشر لماما من أسباب النكبة ، وبينه وبين ما يجب نشره إبراء لذمة التاريخ عند ما يحين الحين فلم استطع أن أنحجب عن أن اسطر أطرافاً فى زاوية بذاتها هى بعض (الخلفيات) - على حد درج التعبير - التى تداخلت فى تسبب النكبة ثم تحقيقها .

كان الذى سعد الموقف بين مصر وإسرائيل ما أعلنه المسئولون السوريون عن التحركات الإسرائيلية نحو الشمال وعن عدوان طيرانها يوم 1967/4/7 على قرية اسكوفيا مما أسفر عن سقوط طائرة تحصلت للقوات السورية على محركها . .

وأثر ذلك - وإلى جانب التصريحات السياسية عن موقفنا من العدو - تصدت سوريا بعثة عسكرية برياسة قائد الطيران الفريق محمد صدقى محمود ووضعت بعد عودتها تقريراً بتاريخ 1967/4/13 بينت فيه خطوات الزيارة التى استغرقت ثلاثة أيام . ثم كشفت عن تهرب السوريين من تقديم (المحرك) للبعثة لفحصه ، والاعتذار بعد استغراق الوعود بأن المحرك أرسل إلى موسكو ، وقدموا صورة له أتضح أنها لمحرك (جرار زراعى) وختمت التقرير بما عنونته بالانطباعات العامة وكان منها :

- أن البيانات والمعلومات مبالغ فيها ، وما صح منها لا ينبىء عن هجوم شامل أو محدود .
- أن حزب البحث لا يملك القوة للعمل ، وهناك سخط عليه ولذا يلجأ الى (الجمهورية العربية المتحدة) لمساندته .
- أن الوضع الحالى غير مناسب لدخول معركة حاسمة مع إسرائيل ، وأن إمكانيات القوات الجوية لا تسمح بالضرب الشامل .

نقص الإمكانيات

وقصور الإمكانيات أو نقصها التي أشار إليها التقرير كانت : حقيقة مرجعها المصدر المانع المانع وقتئذ للسلاح وملحقاته وهو الاتحاد السوفيتي الذي كان يتحكم رغم ما يتقاضى من ثمن .
ومن أظهر صور النقص التي عناها قائد القوات الجوية نقص وسائل الدفاع الجوي ، وفن مقدمتها أجهزة الرصد المنخفض التي كان يعلق عليها المتصلون بشئون الطيران أهمية بالغة لتقديرهم أن الهجوم الجوي الاسرائيلي - ان وقع - سيكون على ارتفاع منخفض ، وفي ذلك يشهد عديدون منهم المرحوم الفريق عبد المنعم رياض " ان كل محاولتنا في الحصول الردار ضد الطيران المنخفض بات بالفشل ورغم أننا كررنا الكلب والمحاولة وعلى أعلى مستوى وانهزنا زيارة الرئيس لروسيا سنة 1963 فأثرنا الطلب وحصلنا على وعد لم يتحقق.

رأى أهل الذكر

ولم يكن الأضرار على توقي ذلك النقص ارتجالا وانما لان رأى القوات الجوية المصرية أن الطيران الاسرائيلي أن أقدم على مفاجأة فالهجوم على المستوى المنخفض الذي لا تدركه أجهزة الرصد الموجود لدينا . ولا تسعف في تدارك مغبة نتائجه بعض أجهزة الإنذار التي كانت موجودة كذلك لأنها من النوع الذي لا يعمل الا بعد أن " يسخن " وهو ما يستغرق بعض الدقيقة التي تسمح للطيران المهاجم أن يفعل الكثير .

ولكن هذا الرأي قوبل بتسفيه الماريشال مانولسكي وزير الحربية الروسى - فى محضر مسطور - يرصد فيه أنه لا يتوقع ذلك ، بل أنه يستحيل على إسرائيل وفقا لمدة طيرانها وقدرة طيارها أن تقدم على ذلك ، فأن أقدمت يستحيل عليها أن تقطع الشوط أو تكمله .

وشاد رأى أهل الذكر الذين جمعوا ائذ بين جناحي أهل رأى وأهل الثقة !!

بين السياسة والإستراتيجية

ورغم هذا الذى أظهر عنه نفر من المسؤولين العسكريين فقد سدرت السياسة فى تصعيد الموقف ، وفى ذلك تقول لجنة تقصى الحقائق التي شكلت أثر الهزيمة :

" ترتبط الاستراتيجية العسكرية لأى دولة بسياستها ، وعلى ذلك فان الاستراتيجية توضع لتحقيق الأهداف السياسية ، ولقد فوجئت القوات الجوية يوم 1967/5/14 برفع استعدادها إلى حالة الاستعداد الكامل للقتال

وحشدت غالبيتها العظمى فى سيناء والقنال اعتبارا من 5/15 على أهبة الاستعداد لوضع اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا - كما أعلن ذلك للرأى العام - موضع التنفيذ . ومعنى ذلك أنه كان على القوات الجوية أن تقوم بعمليات تعرضيه ضد إسرائيل فى حالة قيامها بالاعتداء على سوريا .

" ولتنفيذ هذا القرار السياسى كان يجب أخطار القيادة العامة للقوات المسلحة مسبقا ومنها القوات الجوية للتحضير سراً لتنفيذ هذه المهمة .

" ... وفى يوم 5/15 فوجئت القوات المسلحة بقرار سياسى آخر وهو سحب قوات الطوارئ الدولية من بعض النقاط مثل أم يسير والصابحة فى نفس الليلة " .

" ويبدو أن استجابة قوات الطوارئ الفورية لهذا القرار - ولكن ليس جزئيا كما كان المطلوب بل كليا من كافة النقاط الموجودة فيها ومن بينها شرم الشيخ - قد أوجد حالة سياسية أخرى تتطلب إرسال قوات لتأمين شرم الشيخ وأقال خليج العقبة .

" ثم صدر قرار سياسى آخر مترتب على الأول وهو قفل مضيق (ثيران) وكان تنفيذ هذا القرار يتطلب التجهيز له من الناحية العسكرية وترتب على ذلك أن فرضت التزامات فورية جديدة على القوات الجوية .. لتحقيق الهدف السياسى .

" .. كل ذلك فى الوقت الذى كانت متطلبات القوات الجوية وعناصر القوات الجوية وتحكمها اعتبارات مالية حدث بشكل كبير من استكمال إعدادها وتجهيزها وقت بدء العمليات".

ولعل المبرر لاختلال قاعدة علاقة السياسة بالاستراتيجية ما أقسم عليه نفر من الرواة من أنه وبعد تصعيد التصعيد كان تصور بعض السياسيين " أنه أن تحركت عليه السجاير هذه لتحركت إسرائيل " .

عنصر المبادرة

وعلاجاً للموقف الذى باتت فيه القوات الجوية كان رأى رجالها الإفادة من عنصر المبادرة وأن تكون لنا الضربة الأولى ، ولكن الرد على ذلك كما جاء بشهادة الفريق عبد المحسن مرتجى ردا على سؤال للفريق صدقى محمود :

" أنا سمعت سيادتكم قلت أن احنا منظرنا ح يختلف اختلافا كبيرا فيما لو العدو هو اللى هجم فى الأول .. وكان الرد ده قرار اتخذ وعليكم انتم باه تتخذوا الإجراءات المضادة" .

وكان القرار الذى اتخذ إلا نأخذ المبادرة وكان ذلك القرار هو ما عبر عنه الرئيس الراحل فى خطابه يوم 1967/7/23 بأنه كان نتيجة للخديعة السياسية وعملية التضليل السياسى ..
ومع ذلك وكما ذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل بأهرام 10 نوفمبر سنة 1967 " أن كارثة الطيران صباح 5 يونيه لا تكفى وحدها لتفسير أو تبرير ما وقع بعد ذلك فى سينا تفسيراً مادياً" .
ولقد كان ذلك كذلك فعلاً لولا الكثير ، ومنه .

ما ثبت من تراخى القيادة العامة للقوات المسلحة فى التصرف رغم ما ثبت فى التقارير الرسمية من تحركات العدو الساعة 23 مساءً يوم 4 يونيه أمام بيرين ورفح والشيخ زايد . وما ثبت من أن أول اختراق برى لحدودنا حول " الموجة " تم فى الثامنة من صباح 5 يونيه و " لأم بسيس " أمام موقع " الباطور " بعد ذلك بنصف ساعة .

كذلك فمن حديث المرحوم الفريق عبد المنعم رياض أنه جاءت إشارة من محطة الرصد (يعجلون) بالأردن عن ظهور طائرات العدو على شاشة المحطة قبل هجومها على مصر بما يجاوز العشرين دقيقة وأنها أبلغت للقيادة ولكن خطأ فى استقبالها أفقد الإبلاغ قيمته، بينما وكما يقول الفريق " أن عشر دقائق قد تكونت غيرت وجه التاريخ " .

وحلفاؤنا

أما حلفاؤنا فى دائرة الدفاع المشترك فمن مواقفهم ما يقول فيه عبد المنعم رياض حرفياً : " بكل أسف لم يكن هناك تنسيق بين القوات فى البلاد العربية لظروف سياسية .

سوريا عموماً كانت تتصرف فى كل ما يغاير مبادئها وإذا كان هذا سياسياً هو يفصح على التصرف العسكرى .

لما بدأ القتال على مصر اتصلت بسوريا وطلبت طلوع الرد . فكان الرد أنهم مش جاهزين " .
ويضيف الرجل فى حسرة وحدة : " لما تضرب مطاراتنا الساعة تسعة وعشر دقائق يجب أن تضرب سوريا إسرائيل الساعة تسعة وربع أو تضرب طائراتها عند عودتها .. انما تقوم الساعة الواحدة .؟.. ده كلام فارغ " .

ونصحاؤنا

وأما نصحاؤنا فكما قال الفريق مدكور أبو العز والعقيد حسن حسنى وسواهما أن خطتنا كانت مبنية على أساس سليم 100% ولكن على أساس نسبة الخسائر التي قدرها الخبير الروسى الذى وضع خطة الدفاع الجوى عن الجمهورية وفى حدود إمكانياتنا ومن معرفته للنقص الذى نعانيه فى المعدات وهى نسبة من 15 % الى 20 % ، وكان ذلك رغم معارضة بعض قادتنا ومنهم (العميد) على بغدادى .

كذلك اتضح أن عدم القيام (بالمظلات الجوية) منذ أعلنت حالة الاستعداد القصوى كان سببا من أسباب ما حاق بسلاح الطيران المصرى وكان من رأى بود جورتي قائد الطيران الروسى فى يناير سنة 1967 وسافنسكى وزير الحربية فى محاضر له فى 16/7/1967 أن المظلة الجوية جريمة تستهلك الطيران والطيارين ولا تجدى إلا إذا توافرت لها إمكانيات خاصة لا تقوى عليها بين دول العالم سوى أمريكا .

من حديث الجدران ..

وهذا الذى كان بعض ما كان .. والذى لو تحدثت الجدران بما شهدت وما سمعت لافضت بالكثير مما تحجبها عنه مؤقتا حرمة التاريخ أو سرية الأمانة .. ولكنه رغم قلة ما روت الجدران فانه يدل على الكثير . (ويا بخت من اعظ) .